

الرَّسَالَةُ ٢٢٢

أَنْتَ تَوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا! وَالشَّيَاطِينُ أَيْضًا

(Arabic – You believe that there is one God. Good. Even the demons)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: أَنْتَ تَوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا! وَالشَّيَاطِينُ أَيْضًا

ومن رسالة يعقوب الإصحاح الثاني نقرأ العددين الثامن عشر والتاسع عشر:

"لكن يقول قائل: أنت لك إيمان وأنا لي أعمال. أرني إيمانك بدون أعمالك وأنا أريك بأعمالي إيماني. أنت تؤمن أن الله واحد. حسنًا تفعل. والشياطين يؤمنون ويقشعرون".^١

يتساءل بعضُ الناس كيف أن بولس الرسول يؤكد في رسالتيه إلى رومية وغلطية أن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بأعمال الشريعة. في حين برسالة يعقوب تأكيد أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده. ويظنون أن هناك تناقضاً بين ما يعلنه كل منهما. ولكن في الواقع لا يوجد تناقض على الإطلاق. والحقيقة أن عدم فهم المعاني المقصودة فيما كتبه كل منهما نتج عنه ذلك الالتباس.^٢ وبالتأمل الدقيق وبالرجوع إلى آراء بعض الدارسين من سبقونا المُفسرين لكلمة الله. نستخلص حقائق هامة نجملها في خمس:

أولاً: إن الإيمان نوعان.. الأول إيمان حَيٌّ فعَّالٌ مُثمرٌ عيَّرَ عنه بولس الرسول في رسالتيه الأولى إلى تسالونيكي في قوله مخاطباً المؤمنين: "نشكرُ الله كلَّ حين من جهة جميعكم ذاكِرين إياكم في صلواتنا مُتذكِّرين بلا انقطاع عمَلِ إيمانكم". وجاء عنه برسالة يعقوب ذلك النصُّ "ما المنفعة يا إخوتي إن قال أحدٌ أن له إيماناً ولكن ليس له أعمالٌ". ثم أوضحه بقوله: "هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمالٌ ميَّت في ذاته".^٣

أما النوع الثاني من الإيمان فهو الإيمان الميَّت الذي أشارت إليه رسالة يعقوب وهو الإيمان العَقْلِيَّ غيرُ المُثمر. فصاحبه ميَّتٌ رُوحياً مع أنه حَيٌّ جسدياً وإيمانه مُعتبرٌ برسالة يعقوب بالإيمان الميَّت خالٍ من وجود حياة رُوحية فيه. ولا يصل بصاحبه إلى الحياة الأبدية. إنه مجردُ اعترافٍ من الشفتين. هذا الإيمان كإيمان الشياطين. إن إيمان الشياطين يُولدُ في قلوبهم خوفاً ورعباً. وكلُّ من يؤمن أن الله واحدٌ ولكن ليس له علاقة بالله الواحد سيكون مصيره هو نفسُ مصيرِ الشياطين. هو هالكٌ إن لم يؤمن بخلصه وتبريره وبقوة عملِ الدمِ المسفوك على الصليب. فهذا الإيمان هو الذي يهب خلاصاً وتبريراً لصاحبه ويمنحه قوة بها ينفصل عن الشرِّ والأشرار.^٤

ثانياً: بعضهم زعموا أنه يكفيهم طاعة الشريعة ورفضوا بشارَةَ الإنجيل.. كان بولس الرسول يتحدث عن نوع معين من الأعمال حين قال: إن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بأعمال الشريعة. لأن الأعمال نوعان: نوع هو ثمرُ الإيمان والنوع الثاني هو الأعمال الناتجة عن البرِّ الذاتي. إن بولس يُعظمُ الإيمانَ موضحاً عدم كفاية أعمال الشريعة المُقدَّمة قبل الإيمان بعمل المسيح الفدائي للحصول على الغفران والتبرير. ويعقوب يُعظمُ نفسَ الإيمان أي الإيمان بعمل المسيح الفدائي والثمار الفعلية التي تلازم الإيمان إذا كان صحيحاً. كان يعقوب يتحدث عن الأعمال التي هي ثمارُ الإيمان بالرَّبِّ يسوع. كلاهما بولس ويعقوب يتفقان في حديثهما عن الإيمان والأعمال ولكن كان بولس يتجه بأقواله إلى هؤلاء الذين احتقروا بشارَةَ الإنجيل ورأوا أنه يكفيهم طاعة الشريعة.^٥

ثالثاً: الانكسار على الأعمال بحجة أنها تبررهم أمام الله.. إن بولس الرسول يعالجُ مشكلة خطيرة. مشكلة أناس اتكوا على أعمالهم وافتتخروا أنهم في نظر الله بتلك الأعمال مستحقون للتبرير. لذلك أعلن بوضوح أن ما

استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة يعقوب ٢ : ١٨ - ١٩ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١ : ١٧ & ٣ : ٢٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلطية ٢ : ١٦ - ٢١

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكي ١ : ٢

^٣ رسالة يعقوب ٢ : ٢٦

^٤ رسالة يعقوب ٢ : ٢٤

اتكلوا عليه من أعمال مَهْمَا بَلَغَتْ قِيمَتَهَا فِي نَظَرِهِمْ وَفِي نَظَرِ النَّاسِ هِيَ بِلَا قِيَمَةٍ فِي نَظَرِ اللَّهِ. وَكَتَبَ يَقُولُ "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ الشَّرِيعَةِ بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ". كَانَ يَعْقُوبُ يُعَالِجُ مُشْكَلَةَ خَطِيئَةِ أَيْضًا. مُشْكَلَةُ أَنَا اسَ اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْمَسِيحِ لَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ تَقْدِيمَ الدَّلِيلِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالْأَعْمَالِ الْمَقْبُولَةِ لَدَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ ثَمَرُ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ. مُشَدِّدًا عَلَى أَهْمِيَّةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَنْتَبِثُ وَجُودَ الْإِيمَانِ دَاخِلَ الْقَلْبِ.^١

رَابِعًا: إِنَّ الْخَاطِيءَ بِقَبُولِهِ خَلَّاصَ الْمَسِيحِ يَنَالُ غُفْرَانًا وَتَبْرِيرًا.. كَانَ بُولُسُ الرَّسُولُ يَتَحَدَّثُ عَن تَبْرِيرِ الْإِنْسَانِ أَمَامَ اللَّهِ. وَأَنَّهُ بِالْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ قَبُولُ الْإِنْسَانِ الْخَاطِيءِ لِلرَّبِّ يَسُوعَ كَمُخْلِصٍ شَخْصِيٍّ لَهُ. فَإِذَا كَانَ إِيْمَانُهُ صَادِقًا مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ سَيَنَالُ غُفْرَانًا وَتَبْرِيرًا وَتَجَاةً مِنَ الْعِقَابِ وَضْمَانًا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. إِنَّ اللَّهَ فَاحِصُ الْقُلُوبِ يَعْرِفُ مَنْ كَانَ إِيْمَانُهُ حَقِيقِيًّا وَمَنْ كَانَ إِيْمَانُهُ مُزَيَّفًا غَيْرَ حَقِيقِيٍّ. وَكَانَ يَعْقُوبُ يَتَحَدَّثُ بِرِسَالَتِهِ عَمَّا يَجْعَلُ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ يَتَبَرَّرُ أَمَامَ النَّاسِ. فَيَسْتَهْدُونَ لَهُ بِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ. فَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ تَظْهَرُ الْإِيمَانَ الْقَلْبِيَّ لِلنَّاسِ وَتَبْرِيرَهُنَّ لِلْآخَرِينَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ دَاخِلَ الْقَلْبِ. إِذ يَرَى النَّاسُ ثَمَرَ الْإِيمَانِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَيُحَدِّثُونَ اللَّهَ لَا الْإِنْسَانَ.^٢

وَسَفَرُ أَعْمَالِ الرَّسُلِ بِالْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ يُحَدِّثُنَا عَن رَجُلٍ يُدْعَى سِيمُونُ كَانَ يَسْتَعْمَلُ السَّحْرَ وَيُدْهَشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ. وَكَانَ تَابِعُوهُ يَقُولُونَ: "هَذَا هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ". وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ صَدَّقُوا فَيَلْبَسُ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدُوا رَجُلًا وَنِسَاءً. وَسِيمُونُ أَيْضًا نَفْسُهُ آمَنَ وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلَازِمُ فَيَلْبَسُ. وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ بَوْضَعُ أَيْدِي الرَّسُلِ يُعْطَى الرُّوحَ الْقُدْسَ قَدَّمَ لِبَطْرُسَ وَيُوحَنَّا دَرَاهِمَ قَائِلًا: "أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَتَى مَنْ وَصَعَتْ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدْسَ". فَقَالَ لَهُ بَطْرُسُ "لَتَكُنْ فِضْتِكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِي مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمٍ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلَا قَرْعَةٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللَّهِ. فَتَنْبِ مِنْ شَرِّكَ وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ لِأَنَّكَ فِي مَرَارَةٍ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ".^٣

خَامِسًا: كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ وَرَافِضٌ لِلْمَسِيحِ إِيْمَانَهُ يُمَاتِلُ إِيْمَانَ الشَّيَاطِينِ.. كَثِيرُونَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا مُلْحِدِينَ وَيُؤْمِنُونَ بِالْإِلَهِ الْوَاحِدِ. وَلَكِنْ لَيْسَ مَا يُبْرِهُنُ عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِهِمْ مِنْ أَعْمَالٍ تَمَجِّدُ اللَّهَ الَّتِي هِيَ ثَمَرُ الرُّوحِ الْقُدْسِ. يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَعْمَالٍ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الْبَرِّ الذَّاتِيَّ وَالْمَصْلَحَةَ الشَّخْصِيَّةَ. إِنَّ إِيْمَانَ هَؤُلَاءِ تَصِفُهُ رِسَالَةُ يَعْقُوبَ بِأَنَّهُ كَايْمَانَ الشَّيَاطِينِ. لَقَدْ ذَكَرَ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ حَدِيثَ الرَّبِّ يَسُوعَ لَهُؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ رَفَضُوهُ. فَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ. وَلَكِنْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَمْتُكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُمْ مِنَ اللَّهِ. هَذَا لَمْ يَعْملْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ". فَقَالُوا لَهُ إِنَّا لَمْ نُولَدْ مِنْ زَنَاءٍ. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تَحْبُونِي لِأَنَّي خَرَجْتُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ. لِأَنَّي لَمْ أَتْ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَلِكَ أُرْسَلَنِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتُ أَبِيكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا".^٤

إِنَّ إِيْمَانَ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلِيَّةِ إِيْمَانٌ يُنْشِئُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ تَرَدُّدًا وَخَوْفًا وَرُعبًا لِأَنَّ مَصِيرَهُمْ هُوَ مَصِيرُ الشَّيَاطِينِ. إِلَّا إِذَا تَدَارَكُوا الْخَطَأَ الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ وَادْرَكُوا أَنَّ بَابَ الْخَلَّاصِ مَا زَالَ مَقْتُوحًا لَهُمْ لِيَدْخُلُوا وَيَنَالُوا خَلَّاصًا مَجَانِيًّا بِالنِّعْمَةِ. إِنَّ يَعْقُوبَ لَمْ يَقُلْ: "إِنَّ كَانَ لِأَحَدٍ إِيْمَانٌ وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ". فَهَذَا جَائِزٌ قَوْلُهُ وَإِدْعَاؤُهُ بَلْ وَافِعَالَهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ الشَّيَاطِينِ يُؤْمِنُونَ وَيَقْسَعِرُونَ. وَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ تَعْبِيرِ بِالْقَوْلِ: "إِنَّ كَانَ لِأَحَدٍ". وَالتَّعْبِيرِ الْآخَرَ: "إِنَّ قَالَ أَحَدٌ". فَكُونُ الشَّيْءِ يَخْتَلِفُ عَن إِدْعَائِهِ. لِأَنَّ وَجُودَ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ فِي الْقَلْبِ لَا يَدَّ أَنْ يَثْمَرَ لِمَجْدِ اللَّهِ.^٥

أَدْعُوكَ أَحْيَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِكَ الْمُتَفَاضِلَةِ. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجْلِ كَلَامِكَ فَهُوَ سِرَاجٌ لِرَجْلِي وَنُورٌ لِسَبِيلِي. هَبْنِي نِعْمَةً كَيْ أَكُونَ سَامِعًا عَامِلًا بِكَلَامِكَ لَا سَامِعًا خَادِعًا نَفْسِي. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ فَاسْتَجِبْ لِي سَيِّدِي يَا مَنْ وَعَدْتَ بِقَوْلِكَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحْيَ الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ٢١

^٢ سفر المزمير ٧: ٩

^٣ سفر أعمال الرسل ٩: ٢٣

^٤ رسالة يعقوب ٢: ١٩ ، إنجيل يوحنا ٨: ٣٩ - ٤٤

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ٩ ، إنجيل متى ٧: ١٣ - ١٤